

لم تنبأ الهياكل الحالية الهتة لحقوق الانسان حتى عدم، بل هي فترة جهود طويل من الدراسة النظرية والعملية عرفتها البشرية عبر مختلف مراحل تطورها.

I فنذ البوادر الاولى طيلاد وتطور الفكر الفلسفي حاول عدد من المفكرين الاجابة عن الاسئلة المرتبطة بالانسان وعلاقتها بالجمتمع والدولة، طبعاً لم قبلور آنذاك نظرية مستقلة عن الانسان والدولة بل كان الاهتمام بها يدخل في اطار عام ضمن الفلسفة السياسية ونظرية الاخلاق بصفة خاصة. يرتبط بداية التنكيس السياسي، لتقديم بالظروف العامة التي كانت تحيها اليونان والصراع الذي دار بين دولها. في هذا الاطار تسيطر التساؤل حول الفرد بالدولة او بالمدينة، كانت لها حيث اصبحت اثنا المركز المهيمن في اليونان. ابتداء من هنا يصبح الدفاع عن المدينة مهمة مركزية تتفرع عنها مجموعة من المهام الاخرى مهدف كلها الى الحفاظ عن المركز التمتع من هذه المهام واجبات وحقوق الانسان في المدينة، اول واجبات الانسان اتجاه المدينة هي احترام حوايينها، يقول سقراط، وهذا يدخل النظر عن عدالها او عدم عدالها، وليس بعد هولفنت هذه النكرة لعدم قبوله الفرار من السجن الذي رفضه تلامذته. من وجهة نظر حقوق الانسان كانت هذه الرؤية متقدمة. لقد بلور سقراط نظرية عامة حول الاخلاق والسلوك العام لدى المواطنين والحكام على السواء وكان ينشر فكره هذا في كل الاماكن العامة (مدايق شوارع الخ) وهذا هو مصدر الحكم عليه بالاعدام. ماذا يجب ان نعرف؟ طبعاً ليس الاثمة او اسرار الكون بل يجب ان نعرف ^{انفسنا} (المقولة المشهورة أعرف نفسك بنفسك) هذا الكلام كان يوجه للجميع، فما يعنيه هذا انتقاد للحكام.

II سيعرف الفكر السياسي القديم تطوراً ملحوظاً على يد افلاطون الذي سيكون اول من بلور نظرية عامة حول الدولة فيما يسمى بالجمهورية المثالية. تشرن الدولة العادلة في نظره في نشر يعاقبها حول تقسيم العمل وحقاً لاجبات ومتطلبات الافلان التي تختلف من جماعة الى اخرى. ولا ان فكره

عدالة الدولة ترتبط بعدالة الفرد . من هنا يطرح افلاطون تقسيما نظريا
 للجمهوريّة - فمثل فيه الفلاسفة / الحكماء / فحة حرم السلطة باعتبارهم ذوي
 روح عالية تمسهم من السقوط في المخيان . فالحاكم يجب ان يكون اول من تخضع
 للقوانين لكي تخضع بها الناس . وكل القوانين يجب ان تفسر في اتجاه الخير العام .
 بالسيّء فكانت المرأة داخل المدينة فبالرغم من امتلاكها مع الرجل يمكن ان
 تقتل مكانها (حارسة / حارثة - فيلسوفات) ولا أن النساء يجب ان يكونوا
 جاعتهم (فاحية) بل ان مفهوم العائلة يستعمل لفائدة الدولة " كل الاطفال
 يستعملون المسيئين كما يفهم !"

والجدير بالذكر ان افلاطون تركز على اقامة خارق بين عالم
 مثالي ابدى وثالذ وعالم مادي زائل وزائف . هذا الفارق سيسبغ بظهور
 تدريجي لمجموعة من المفاهيم والقيم الكونية والمادية .

III

اذا كان افلاطون يميز بين مفهومين للعدالة واحد مادي زائفا وآخر مثالي
 خالد فان ارسطو من بعده سيطور هذه المفاهيم وعن ماديته وتسيدها .
 بعد حديثه عن كون العدالة و انسانية الانسان لا يمكن ان تكون خارج المدينة
 كما يقول بان هدف هذه الاخيرة ليس فقط الحياة والعيش بل معنى تلبية
 حاجات الانسان الاساسية بل تلبية أكثر ما يمكن . مفهوم الحياة السعيدة
 (مفهوم السعادة)

(la fin de la cité n'est pas seulement vivre et de bien vivre)
 وبالرغم من أن ارسطو لا يبيع صراحة بموقفه من الحكم بومن الشعب إلا انه يؤكد
 ان الانسان العادي k'homme populaire لفردية غير قادر على الوصول الى
 الانسان المفترض حيث أن "حكم ولكن الشعب عامة يتوق للحاكم لأنه هو الذي
 يواجبه القوانين بعكس الحاكم الذي يقرها فعدالة القوانين يقرها الشعب
 " L'invité peut juger le plat mieux que le cuisinier"
 بل يذهب ضمنا الى القول
 بالحكم الجماعي باعتبار ان الفرد الحاكم فوجده يسهل رسوته ويسقط في نظام
 غير عادل / طاغية . tyranie .

وكي يتجنب الجميع لقوانين المدينة يجب ان يقرّر الحق في السّ بيتة والتعليم
 فالكبار لن يعرفوا قوانين المدينة ~~لأنهم~~ لم يتمّ تعليمهم وهم أطفال .

ثانياً المرسة الرواقية بدورها تذي تدفع بالنظرية السياسية وذلك
 باقرارها لمفهوم الحق الطبيعي "le droit naturel" ومفهوم البسيط
 هو ان كل واحد يجب ان يحافظ على ما لديه . فالانسان يولد بطبيعته حراً والعوائق
 الموضوعية من طرف الانسان ليست الاجوابا ناقصا لحق طبيعي وثابت يطبق على
 الاكون باجمعه بحيث لا قيود للقانون العلماني بدون مطابقتها للقانون الطبيعي
 من جهة اخرى يتطور هذا الرصيد الفكري على يد الفكر السياسي الصيني
 القديم اذ يستلهم نظريات سياسية متقدمة - تحتل فيها الانسان مكانة مركزية
 فهو صاحب الفكر (Tong Tchong Nchou) المستلهم بتوجيهه خطابها
 الى الاميل طور حول الحكم الصالح "le bon gouvernement" والذي تحتل
 فيه لقد يو الانسان مكانة مهمة . للانسان الدور الرائد في الخلق والبراع من
 هنا ضرورة الحرية . "فمن كل الكائنات يقول بعض الانسان المملوقا ~~الوحيد~~
 والنبيل".

بالرغم من ان هذا الانتاج النظري تطور في الجمع القديم وسيادة
 فط انتاج عبودي . الا انه كان يعبر بداية للفكر العقلاني المرتبط بظهور
 المفهيم "بارتباط مع نو ملحوظ في قوى الانتاج واقتصاد تبادل مرتبط
 بالزراعة . وسيؤدي تطور الرعية الارض الى ظهور فئة من ملاكي الاراضي
 (الاقطاع) الذين يستحقون الى ابدى وامانة يستوفونها المحروب في شكل
 "عناثم بشرية" تحولت الى اقطاع يعملون في الارض . يتقابل من الموهول (اللاحي)
 فكما ان كل تطور لا يسير في خط لها عدو مستقيم ^{متين} الطبقات الاقطاعية
 من الازمنة والتشريعات والعوائق ما يسع لها بالحفاظ على امتيازاتها
 على المستوى النظري كما مستكملت الكنيسة بسرعة هذه الاظمة باعتبارها
 نظاما الالهيا . الا ان هذا الوضع (المعروف بعصر الظلام) سيدفع جماهير
 الاقنان الى الفرار من اراضي الاقطاع والتوجه نحو المدن ذات البنية الاقتصادية
 التجارية . وحوارها مع هذا التدهور في وضع حقوق الانسان مستغرق الفكر
 العلمي فتمما ملحوظا اذ ظهرت بوادر ^{العلمية} والاكتشافات العلمية (الاجهزة
 التجريبية) ^{وتطورها} الملاححة التجارية (والاكتشافات الجغرافية الكبرى) مما
 سيؤدي الى ظهور المصانع في المدن مع حاجتها الى قوى العمل يستوفونها مجموع
 الاقنان الهاربين من ضيق الاقطاع .

٧ في هذه المرحلة سيهد الفكر النظري ايضا تطورا هائلا فيما يسمى
 بداية عصر الافكار . يستمد اسمه النظرية مباشرة من الفكر العقلاني
 اليوناني و سيدور صراع حاد مع الفكر الكنسي حول مكانة كل من الدين
 والاشنان في المجتمع . هذا الصراع سيرفأ تذبذبا في التحالفات ما بين الكنيسة
 والاقطاع من جهة وبعض الثيارات الدينية المتقدمة من جهة اخرى (بروز بواصر
 الاصلاح الديني) والسعي الكادح من جهة اخرى . بعبارة اخرى كان الصراع
 يدور حول مكانة الانسان يسوع بين الاقطاع والكنيسة من جهة وحسب
 البورجوازية الناشئة من جهة اخرى

على المستوى الفكري ستظهر الكتابات المهمة بالاشنان وحرثه و دورها كمدع
 ستعزز ايضا النزعة الفردية كتجسير عن الفرد والاشنان وكنونتها . اغلب
 الانتاجات النظرية في عصر النهضة تبدأ بـ "أنا" "Je me" (مقولة
 ديكارث المشهورة "أنا افكر اذا انا موجود") والملاحظ ايضا ان المراسلات
 والردود كانت مسطوية فمن الادبيات مما يعينه ذلك من استخدام
 لفهم المتكلم .

Rousseau
 اذا كان لنا ان نعطي مثلا عن اهمية الانسان في فكر النهضة فان روسو
 المتوجع المتقدم . ففي حديث له عن أصل الامساواة بين الناس يقول "سأحدث
 عن الانسان وسأدافع عنه بكل قوة عن قضية الانسانية" .
 الامساوات التي نوعين احدهما طبيعية (السن الجسم الخ) واخرى سياسية
 وهي الامساواة في الحقوق والحيرات التي يستفيد منها البعض على حساب
 البعض الاخر . فافا كان كل واحد الحق في الملكية فلما لا يمكن قبوله هو قسرك
 طرف لما هو طبيعي عند طرف آخر كالحق في الحرية والحق في الحياة . هذه
 الاخيرة لا يجوز مطلقا التصرف فيها ، من هنا يرد روسو ان اقامة نظام
 سياسي يجب ان يفضح لما يشبه العقد de contract بين الشعب والحكام
 انذبي الحتام لهم هذا الشعب نفسه . وهنا يدخل مفهوم الحقوق السياسية . هذا
 العقد يفضح له الجميع بكل مساواة ودون أي مصلحة فردية .

من جهة اخرى سيظهر مفهوم الحقوق الاقتصادية . في هذا الاطار ميز
 روسو بين الاقتصاد العام بين الاقتصاد الشعبي économie populaire
 انذبي الحظ المجتمع بكامله ومبدأه وحدة الصالح بين الشعب والحكام ، والاقتصاد

الطائفي (أو اقتصاد الطغاة) *économie tyranique*، حيث تكون المصالح متناقضة وتلبي حاجات طرف واحد فقط. النوع الأول هو الاقتصاد المشروع لأنه يهدف تحديث الجميع.

مفهوم المواطنة يدخل أيضا في إطار هذا الفكر، فالمواطنة كما نعيها من حقوق وواجبات يجب ان تحترم أولا من طرف الحكام "احترموا مواطنتكم". فنقوم المواطنة هنا مرتبطة بالحريّة وبال حقوق الاقتصادية بدون هذا لا يمكن لأي واحد أن يرتبط بوطنه. بل أن على المواطنين ان يساهموا في ادارة الأعمال السياسية و الادارة العامة لشؤون البلاد ليسوا فعلا انهم حقاني بلادهم. وكل التشريعات والتوانين يجب ان تسيّر في ابقاء حماية هذه الحقوق. إلا أن اهم ما يجب محاربه هو التوزيع الغير عادل للخيرات. لا يمكن الجميع من العيش. فالحق في الصحة لا يمكن فوغيره بنساء المستشفيات فقط بل لمحاربة اسس المرض التي هي الفقر وحماية التوازن السكاني بين المناطق. وتلكي يكون المواطن مواطنا يجب توفير الحق في التربية والتعليم و الحق في العمل.

هذه النظرة تسيو طرفها روسو في العقد الاجتماعي ومضمونه اقامة نوع من التعاقد بين الحاكم والمحكوم ليحدد الحقوق والواجبات وتضمن عمر تشريعات وقوانين تعبر عن ارادة الجميع.

وتشجيد العديد من الافكار التي تبلورت في عصر الانوار بافتكار الثورة الفرنسية التي عمأت مختلف فئات المجتمع حول شعارات العدالة والمساواة لاستقاط انتصاح الاقطاع وسوف تترجم تلك العبارات في قوانين وتشريعات الممثلة في الاعلان من حقوق المواطن

تلكا يستعزز هذا الرصيد النظري والعملية بالمساهمة الفعالة للفكر الاشتراكي مع ماركس وانفلز من خلال كتاباتهما شاهدة البيان الشيوعي. أكد هذا ان النكران على ان تاريخ البشرية لم يكن إلا تاريخ الصراع بين طبقة مستغلة واخرى مستغلة، وكل مرة هذه الاخيرى تنجح في اقامة فوط انتاج وعلاقات انتاجية جديدة.

سياس ماركس وانفلز نظرية شاملة حول فوط الانتاج والمرئ بحالي ودور الدولة

كجهاز طبقي في مصانع الانسان البرجوازي / الطبقة البرجوازية
 بوصفها التمتع والادبوجية. في نظر هذين المفكرين لم يستطع
 الانسان - عبر مراحل التاريخ - ان يعيش انسانية كاملة. وطرهان بيلا
 يمثل في اقامة مجتمع خالي من الطبقات تبدأ اوله مرحلة بسيرة الطبقة
 العاملة على السلطة وهي فترة انتقالية مهمي الظروف لاقامة مجتمع
 سوسيوني تنهي فيه الطبقات. هما فيا الطبقة العاملة نفسها وينعدم الدور
 القمدي للدولة. هي هذه المرحلة تتحرر عوى الانتاج وتنتج السلع وكافية
 للتوزيع والاستهلاك طبقات الحاجات الانسانية ~~تتحدد فقط~~ يمكن للافراد
 ان يحققوا انسانيتهم الكاملة ويحققون الى اشكال عديدة من النشاط
 لانجابي دون ضغط من الحاجة.

يستعرف هذه النظرية اول تطبيق عملي لها في كومونة باريس. وبالفعل
 قام سكان باريس بالاطامة بالنظام الامبراطوري. ونظم جان الكومونة
 عمل الحياة الاجتماعية

- انتخاب مجلس من العمال وتشكيل لجان قسريية وتنفيذية ا حل اجهزة
 الشرطة والجيش وتعوينها لها غير مسلحة. وحاد اقرت الكومونة مجموعة
 متقدمة جدا من الحقوق في شكل قسرييات لشمس جياها المواطيني
 هنا الغاء الجارات السكن باعتبارها متا لجميع، الغاء الديون على الفقراء
 تعفيض ساعات العمل، الغاء العمل الليلي، انتخاب اجهزة العدالة
 والموظفين ومراقبتهم ومما فيتهم عن أي سطط الخ ..

هذا اوسويدي الفكر الاشتراكي بكل قياراته (Robert Owen, Proudhon)
 الى بلورة مفهوم لحقوق الانسان يرتكز على الترات الليبرالي من جهة
 والكتبات الاشتراكية من جهة اخرى. بعبارة اخرى قسبة جميع الحقوق الفردية
 مع العدالة الاجتماعية، والحقوق الاقتصادية، والتعاضد وغيرها.
 ان هذا الافتاح النظري، والعملية هو الذي بيوض الشروط النظرية والقانونية
 التي تسقوم عليها النظام الدولي المتعلق بالمؤسسات والاجهزة التي
 تستمر على الدفاع عن حقوق الانسان .

بالرغم من ارتكازنا على الفكر الغربي فلا يجب ان نعبر مفهوم حقوق
الانسان كنتاج لهذا الفكر وهذه ، فهناك نظريات ونظريات اخرى لحقوق
الانسان منسقة عن شعوب وثقافات اخرى .

* فالبودية مثلا لها خصوصياتها في الموضوع ، بحيث تعبر نفسها ديانة تأمل
وليست ديانة منزلة ، وتربط البوذية في جوهرها بين حاجيات الانسان
وحاجيات الحيوان . فتصورها لحقوق الانسان لا علاقتها بالتصورات الخاطئة
بالغرب ، وضخم الشعوب الاسيوية طبقت حقوق الانسان انطلاقا من
تعاليم ديانتهم .

* يمكن التذكير ايضا بمثال الشعوب الاصلية في امريكا. Indiens d'Amerique
واستراليا les Aborigenes المتصين بتقديرهم للطبيعة وظهورة المحاطة
عليها بشكل عام بحيث افهم لا فرقون بين الطبيعة والانسان ، وترتكز ثقافتهم
على الحقوق الايكولوجية . بالنسبة لهذه الشعوب يعبر حق الملكية حقا
بما ~~صاحبه~~ لكل افراد الجماعة ولا يجوز ثلثه بالمفهوم الغربي للملكية .

* فين ان نضيف الحضارة البابلية والقديمة والتي تعبر عن اول الحضارات التي
صاغت القوانين والتشريعات لتنظيم الحياة الاجتماعية . واشتهرت
بابل بكونها ارض القانون ، نذكر من بين التشريعات القوانين التذكيرية
Reglementations التي صاغها URUKAGINA . هناك ايضا

قانون صاغه URNAMMU ، وايضا قانون هورابي . كل هذا يدل
على الاهتمام القانوني لهذه الشعوب لتنظيم الحياة العامة داخل مجتمعاتهم
* نجد كذلك في الاسلام مفهومها خاصا لحقوق الانسان حيث ينص على ان
الله هو الخالق الوحيد للقانون ومصدر كل الحقوق . وبالنظر الى المصدر

الالهي لهذه الحقوق وللقانون عامة ، يجب ان يطبق على الجميع . فالشريعة
(الشرع / القانون) الاملائية هي القانون الشامل الذي "تخضع له جميع المسلمين
ولم يرد الحق والواجبات ، وحتى كان هناك تجاوز من طرف الحكام يجب
لتعبر الوضع ومقاومة الاطراخات كما تعبر عن ذلك مقوله " حتى
استبعدتم الناس بوقد ولدتهم امها تم احراما " او " من رآه منكرا فليغيره بيده ،
غاره لم يسطر بلسانه ، فان لم يسطر فبقلبه " .

نستخلص من هذا المدخل انه بالرغم من اختلاف الحضارات وتمايز
 الثقافات والشعوب فقد ساهمت كلها بهذا القدر او ذاك في تهيئة
 مفهوم حقوق الانسان، كل ثقافة حسب خصوصياتها التاريخية
 الدينية، الجغرافية السُّوية الخ...

ويمكن أن نعتبر هذه المسألة كمواد لظهور مفهوم كونية حقوق
الإنسان (Universal rights)، على أن تظهر الأفكار والمؤسسات على
المستوى الوطني والدولي سيتوصل إلى صيانة مفهوم حديث لحقوق الإنسان،
يرتكز على الإدارة الظهر القديم والحديث هي جهة، ^{على} الأوامر الدولية
كإعلان العالم لحقوق الإنسان والمواثيق والمعاهدات والاتفاقيات
الدولية والجهوية هي جهة أخرى.

والمفهوم الجديد لهذا، يربط بشكل وطيد ما بين حقوق الإنسان
والدولة، كجهاز يربطهم العلاقة بين الأفراد من جهة، وهؤلاء
والمجتمع والمؤسسات من جهة أخرى. بما يعنيه ذلك هي ضرورة
توفير تشريعات وقوانين تحمي وتدافع عن حرية الفرد وحقه في
المساواة في الحياة الاجتماعية، والاعتدالية والسياسية والثقافية.
وبما يعنيه كذلك من ضرورة تلبية أقدار ما يمكن من حاجياته الأساسية.

فحقوق الإنسان ليست حقوقاً تنبأ صيانتها لكي تبقى ~~بموضع~~ في وضع
الهداف أو تمثل علياً، بل همسها ودورها الاجتماعية هي أن تلبي لفته
الحقوق محركاً أساسية للحياة القفائية والسياسية والاجتماعية
لكل بلد على حدة.

فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في ~~مفهوم~~ تمهيدية بشرية وإبيلتي
إبائيتي في العمل على ترقية حقوق الإنسان لتما التعليم والتربية من جهة،
وتسليم ~~مفهوم~~ كمنانة حقوقية ترجع المسؤولية فيها إلى ~~الأجهزة~~ ^{في جهة أخرى} والمجتمع.

إن التربية والتعليم والاعلام ليست رسالة ملقاة على عاتق الحكومة
السلطة العامة لوحدها بل هي كذلك تعتبر من مهام ~~مجمل~~ مجمل
مؤسسات المجتمع بما فيه المنظمات الحكومية. ولذا الهدهد، إن
التربية بغير حقوق الانسان تلعب دورا حاسما في توفير
الشروط للعمل على تحقيقها أو اقتراحها.

ولم ياكل المجتمع من واجبهما أن تلعب الدور المنوط لهما في توفير احترام كل
حقوق الانسان بشكل فعلي وكوني؛ وكل دولة ~~تلتزم~~ هي واجبهما كذلك
أن تعترف بهذه الحقوق وتنظيمها لكل الأنظمة المتواجدين على اراضيها كما
ندم على ذلك كل من البند 1 للاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان والبند 2-
للمعاهدة العالمية للحقوق المدنية والسياسية.

ومن الطبيعي أن هيمنة حقوق الانسان واحترامها لا يمكن أن يتم الا من اطار
الدولة العرة التي يتبع فيها السكان بحق السعوى في تقرير مصيرهم؛ وتحتصر
فيها الارادة الشعبية في اطار نظام سياسي ديمقراطي.
~~لأن~~ لأن الارادة الشعبية هي التي تكونت السند الاصيل للسلطة العامة،
ولهذه الارادة من المفروض أن يعبر عنها الشعب من خلال انتخابات نزيهة
تنظم بشكل دوري كما ندم على ذلك البند 21 للاعلان العالمي لحقوق
الانسان.